عرس قانا الجليل
يوحنا الفصل ٢(١-١٢)

المقدمة:

معجِزة عرس قانا الجَليل، التي ترِد فقط في إنجيل يوحنا، هي أولَى آيات يسوع المسيح التي صنعها لكي يظْهر مجده. تلك الآية أو العلامة تدلنا على ألوهة يسوع المسيح.

"وفي اليوم الثالث كان في فانا الجليل عرس"

إطار النص:

بدأ يوحنا إنجيلَه بِكلمة "البدء" التي تعيدنا إلى سفرِ التكوين وإلى الخَلْق، ثم يذكُر شهادة يوحنا المَعمدان الذي يعلن البشرى للآتين من أورشليم يو(١-١٩)، المَحطة التالية هي يسوع حمل الله يو(١-٢٩): "وفي الغد رأى يوحنا يسوع مقبِلاً إليه"، إذن إنه اليوم الثاني. النص التالي هو تلاميذ يسوع الأولون يو(١-٣٥) : "وكان يوحنا في الغد واقفًا هناك"، أصبحنا في اليومِ الثالث،ثم يسوع يدعو فيلبس ونثنائيل يو(١-٤٣) : "وأراد يسوع في الغد أن يذهب إلى الجليل"، إنه اليوم الرابع. ننتقل إلى نص عرس قانا الجليل يو(٢-١) الذي يبدأ بعبارة "وفي اليوم الثالث"، وبِحسب الترجمة اليونانية، هذه العبارة تعني "بعد ثلاثة أيام"، إذن لقد أصبحنا في اليوم السابع.

رمزية اليوم السابع:

في العهد القَديم، تحديدا في سفرِ التكوين ٢-٢، بعدما خلَق الله السماوات والارض وجميع ما فيها في ستة أيامٍ، إستراح في اليومِ السابع من عمله. في العهد الجديد، في هذا النص من إنجيل يوحنا، أظهر يسوع مجده في اليومِ السابع فآمن به تلاميذُه. بالنسبة إلى يوحنا، لم يعلن الله فقط مجده، بأنه هو الله ومنذُ البدءِ كان، إنما أيضا كما خلَق الله ألانسان والوجود في ستة أيام في العهد القَديم، قد جعل، في العهد الجديد، الخليقة تتجدد في ستة أيام عندما حولَ حياة أشخاص كيوحنا المعمدان، سمعان بطرس، فيلبس ونثنائيل، وجعلَهم يتبعونه، وصولاً إلى اليوم السابع حيث أعلَن مجده.

لماذا قال يوحنا " وفي اليوم الثالث"؟

اليوم الثالث مرتبط بمنطق قيامة يسوع المسيح، وفي النص أيضا رموز تتعلق بموت وقيامة يسوع المسيح، فقد قدم يسوع ساعةَ موته ومات بطريقة رمزية من خلال حدث عرس قانا الجليل لكي يعلن أنه أتى ليموت من أجل الإنسان.

"وكانت أم يسوع هناك"

لم يذكُر يوحنا في إنجيله إسم مريم العذراء كما فعل الإزائيون، رغم أنه عاش معها في أقسس بحسب التقليد ورغم الوصية التي أوصاه بها يسوع تحت الصليب بأن يكون ابنها وهي أمه. لم يهمه أن يذكر هويتها التاريخية بل دورها في تاريخ الخَلاص المَسيحي، لذلك أعطاها لَقَب أم يسوع أو الإمرأة.

بدأ يوحنا نص الانجيل بمريم وليس بيسوع، كما فعلَ أيضا لوقا عندما بدأ إنجيلَه ببشارة الملاك لمريم، لأن وجود يسوع على الارض كان بسبب طاعة مريم لكلمة الله وأيضا وجود يسوع في اليوم السابع في عرس قانا الجليل كان بسبب مريم.

"ونفَدت الخَمر"

العرس بالنسبة إلى اليهود هو من أهم المُناسبات الاجتماعية، وكانت فترة العرس تمتد من ثلاثة إلى سبعة أيام وكان اليهود يشددون على حسنِ الضيافَة في هذه المُناسبة، لذا كان من المُستغرب أن ينفد الخَمر، إنما يوحنا لم يكُن يتحدث عن مجرد حادثة إجتماعية بل عن البعد اللاهوتي الذي تممه يسوع المسيح.

"وكان هناك ستة أجران من حجر يتطهر اليهود بمائها يسع كلّ واحد منها مقدار مِكيالين أو ثلاثة"

العدد ستة

في العهد القديم العدد ستة هو الرقم الذي ما قبل الإكتمال، العدد سبعة هو رقم الكمال.

أجران من حجر

نعود إلى العهد القديم، إلى سفر حزقيال وسفر دانيال حيث كان عهد الرب للشعب أن يعطيهم ناموسا جديدا يكون في قلوبهم ويصبح قلبهم من لحم، لا من حجر، وبالتالي الشريعة المُمثلة بالأجاجين المُعدة لتطهير اليهود كانت تنتظر إكتمالها بمجيء يسوع المسيح.

الماء والخَمر

قانا الجَليل هي قَرية صغيرة وفقيرة، والعرس قد تم في بيت وليس في الهيكل، لماذا يوجد إذَن ستة أجاجين من الماء تتسِع إلى حوالي ٧٠٠ ليتر وهي كمية كبيرة، ولماذا قد ذَكر يوحنا عمل طُقسِي كان يجريه اليهود في الهيكل وهو التطهير؟

وضع يوحنا في هذه الحَادثَة رموزا تعود إلى العهد القَديم، فعندما يقرأ اليهودي هذا النص،سيتذَكر حدث التجلي على جبل سيناء في اليوم الثالث (سفر الخروج ١٩) : فدعا موسى شيوخ الشعب وألقَى على مسامعهم جميع الكلام الذي أمره الرب به. فأجابوا كُلهم:جميع ما تكلّم به الرب نعملُ به. فنزلَ موسى إلى الشعب وأمرهم أن يطّهروا نفُوسهم ويغسِلُوا ثيابهم ليكونوا مستعدين لليوم الثالث وهو يوم تجلي الرب.

جواب الشعب لموسى، وضعه يوحنا على لسان مريم العذراء في عرس قانا الجليل.

في سفرِ الخروج، أخذَ شعب إسرائيل على جبل سيناء، الوصايا العشر التي خطها الله على لوحين من حجر.بحسب الانبياء كان شعب إسرائيل من ضمن الشعوب الغريبة عن وعود الله والتي كانت مرمية خارِجا، لم يدخل أحد بِعلاقَة حب معها، مر الرب فنظر إليها وأشفَق عليها وقال لها عيشي وبسطَ ذَيلَ ردائه عليها. بسط الرِداء هي العلامة الرمزية لدخولِ الشخص في علاقَة زواج مع إمرأة بمعنى قد أصبحت عروسا له. ما تم على جبل سيناء ليس مجرد إعطاء الوصايا، إنه دخول في عهد حب مع الله، دخل الله في عهد حب مع إسرائيل، بعلاقَة زواج مع إسرائيل. عندما كان إسرائيل يذهب ليعبد آلهة غريبة كان الله يقول له:خنتني مع آلهة أُخرى وكان يسمي إسرائيل زانِية. كان الزنى في العهد القديم يعني خيانة الشعب لله مع آلهة أخرى،عندما يدخل الشعب بِعهد حب مع الله يصبِح في حالة وفاء دائم إليه.

نقَلَ يوحنا الانجيلي هذه الصورة إلى عرس قانا الجليل، لم يذكُر من هو العريس ومن هي العروس لأن العريس الحَقيقي هو يسوع المسيح الذي يعطي الخَمر، والعروس الحَقيقية هي التي تؤمن بِكلام الله، إنها مريم العذراء، أورشليم المُؤمنة، التي بقيت وفية لله، تسمع كَلمته،وتقول للتلاميذ إفعلُوا ما يأمركم به. هذا ما قَصده يوحنا وشدد عليه، إنه أكثر من مجرد عرس، إستعملَ يوحنا حادثة تحويل الماء إلى خمر التي تمت تاريخيا في العرس لكي يضع البعد اللاهوتي للدخول بعلاقة زواج مع الله وبعهد جديد كما وعد الانبياء دانيال وإرميا في العهد القديم. بتحويل الماء إلى خمر،يحول الله الحجر إلى لَحم ويعطي وصية جديدة.

رمزية الماء

في العهد القَديم في سفر التكوين:وكان الغمر على كُلّ المَعمورة، الغمر هو علامة الدمار،علامة الشر والاذى، مع نوح كان الطّوفان علامة الموت وإبادة الخَليقَة، كانت الماء رمزا للشر ويسكن فيها الحيوان الشيطاني "اللويتان" ودوره هو محاربة إرادة الله، لكن رغم قوة الشر كان روح الله يرفرف فوق الغمر، والله هو أقوى من كل قوى الشر في العهد القديم.التطّهر يرمز إلى المَعمودية اليوم، عندما أنزل في الماء أموت مع المسيح لأكون كائن جديد،عندما سار يسوع المسيح على الماء أراد أن يرينا أنه بموته وقيامته قد وطىء الشر.

رمزية الخمر

أشعيا يقول: "سيصنع رب القُوات لجميع الشعوب مأدبةً منّمنةً، مأدبةَ خمرٍ معتقَة ونبيذ مراق".

يوئيل يقول: "في ذلك اليوم تقطُر الجبال نبيذًا وتفيض التلال لبنا وحليبا".

بحسب الانبياء في العهد القديم، الخَمر هي ضد الماء، إذا كانت الماء علامة الشر فالخَمر هو علامة الفَرح،هو علامة حلول يسوع المسيح. يقول الانبياء أيضا أن في الزمن المَسيحاني، الجَبل المُقَدس سوف يمتلىء خمرا والخَمر يعطي الفَرح إلى القَلب، فرح العهد الجديد قد تم بيسوع المسيح. الماء كانت موجودة في ستة أجاجين من حجر، والرقم ستة، علامة عدم الكمال، قد إكتمل في اليوم السابع بوصول يسوع المسيح إلى العرس والعرس هو دخول الله في عهد جديد مع الشعب وبعلاقة حب مع الشعب.

عندما يقرأ اليهودي أن كَميةً من الخَمر ستقطُر من الجبال سيقول أن الخَمرِ المَسيحاني قد فاض. التحويل من حقيقة مادية، من حقيقة موت وشر إلى حقيقة فرح وحياة قد تم بوصول العريس الحَقيقي، والعروس الحَقيقية ألأمينة مريم العذراء قالت للخدم كما قال شيوخ إسرائيل لموسى:كلّ ما يأمرنا به الرب إياه نفعل، أصبحت مريم ممثلّة العهد الجديد و ممثلّة الشعب الوفيّ، من هنا أهمية دور مريم وليس تاريخية شخص مريم في هذا النص. أصبحت مريم أورشليم الجَديدة والكنيسة التي لا تخطأ، الكنيسة الأمينة والوفية التي تدخل بعلاقة حب مع العريس الحَقيقي يسوع المسيح. قال يوحنا المعمدان في الفصل٣-٢٩ أنه إشبين العريس والصديق الذي يفرح لصوت العريس أما العروس حين تسمع صوت العريس تعرفه وتبتهج.

في نص عرس قانا الجَليل، دعا رئيس الوليمة العريس وقال له تركت الخَمر الجَيدة إلى الآخر، فقد قَصد يوحنا الانجيلي من ذلك هو أن يوجه رِسالة إلى تلاميذ يوحنا المعمدان بقوله لهم أن يوحنا

المَعمدان أعطى الخَمر الطّيبة، أعطى كلمة الله ومعمودية التوبة إنما يسوع العريس قد ترك الخَمر الطّيبة إلى الآخر، الخمر التي صارت بِشخصه هو وليس بشخص يوحنا المعمدان.

التعابير اليوحناوية

الآية، الساعة، المَجد والإمرأة

الآية

القسم الاول من إنجيل يوحنا يسمى إنجيل الآيات، حيث يوجد فيه سبع آيات ويمتد من الفصل ألثاني إلى الفَصل الحادي عشر:

- عرس قانا الجليل
- يسوع يشفي طفلاً
- يسوع يشفي كَسيحا
- يسوع يطعم خمسة آلاف رجل
- يسوع يمشي على الماء
- يسوع يشفي الاعمى
- إحياء لعازر

بالنِسبة إلى يوحنا الآية هي أكثَر من معجِزة، هي العلامة التي تدلّ على حقيقة يسوع المسيح اللاهوتية وعلى مسِيحانِية يسوع المسيح. أقام يسوع لعازر لأنه فعلاً رب الحياة، هو القادر على إعطاءِ الحَياة. شفاء ألاعمى منذ الوِلادة هي حقيقَة لاهوتية ترمز إلى شعب إسرائيل الاعمى الذي بدأ يرى لكن القَادة اليهود قد رفَضوا أن تفتح أعينهم.

الساعة

القسم الثاني هو إنجيل الساعة أو إنجيل المَجد المُخصص لآلام يسوع المسيح يمتد من الفَصل الثاني عشر إلى الفصل الواحد والعشرون. بدأ يظهر معنى الساعة في عرس قانا الجَليل، إنها ساعة تمجد يسوع المسيح، لا على الارض ولا عن يمين الله الآب، إنما على الصليب. هذا هو جوهر إنجيل يوحنا، لا يقول يوحنا في إنجيله قد صلب يسوع بل قد تمجد أو قد رفع، فيسوع قد إرتفَع وأصبح أعلى من البشرية كُلها. ألإزائيون يشددون على عبد الله المُتألم على الصليب أما بالنسبة إلى يوحنا يسوع هو المَلك الذي يظهر ملكُه على الصليب وبالتالي ساعة الصلب هي إجتذاب الكون كلّه. على

الصليب طُعن جنب يسوع بحربة فَخرج دم وماء (الافخارستيا والمَعمودية)، فَربطهما يوحنا بالماء والخَمر في عرس قانا الجليل، خاتما إنجيله بنفس الكلمات التي بدأه بها.

من كان الشاهِد على مجد يسوع؟

في عرس قانا لم يشهد أحد على المُعجِزة، إستطاع الخَدم فقط أن يستقُوها ولكن لم يروا بعين الجَسد. على الصليب، كان قائد المئة الوثَنِي شاهدا عندما قال حقًا كان هذا ابن الله.

إستطاع القائد الوثَني أن يعلن أعظم سر إيمان عن إنسان متألم، مطعون في جنبِه على الصليب وخارج منه دم وماء، فالايمان قد تم من خلال الاسرار، سري المَعمودية والافخارستيا. بموت يسوع المسيح ومن خلال الخدمة الكهنوتية والاسرار، إستطاعت الشعوب أن تكتشف سر يسوع المسيح الذي لم يعد حاضرا أمامهم تاريخيا بل أصبح المُعلق على الصليب والقائم من بين الاموات وأصبح موجودا في الكنيسة. العرس الذي تم تاريخيا في البيت يرمز إلى العرس الحقيقي الذي يتم في الكنيسة حيث يجتمع المسيحيون في جسد واحد وعائلة واحدة وحيث يتم التحويل من حقيقة مادية إلى حقيقة أبعد من المادة، إلى حقيقة نراها فقط بِعين الايمان.

الإمرأة

"ما لي ولَك، يا امرأة، لم تأت ساعتي بعد"

هناك مشكلة في كيفية قراءة هذه العبارة، من أين تبدأ وأين تنتهي، فيسوع يقول شيئًا ثم يفعل عكس هذا الشيء، وأيضا عند صلاة يسوع في بستان الزيتون يقول :"نفسي مضطَربة فماذا أقول، يا أبتي نجني من هذه الساعة إنما من أجل هذه الساعة قد أتيت".لكن إذا وضعنا علامة إستفهام في وسط الجُملة سيفهم النص من الناحية القواعدية، ولا يعد القسم الاول من الجُملة متناقضا مع القسم الثاني.

ما لي ولك يا امرأة أما أتت ساعتي بعد؟

نفسي مضطَربة فماذا أقول؟ (أأقول) نجني من هذه الساعة؟ إنما من أجل هذه الساعة قد أتيت.

رمزية الامرأة

"يا امرأة" هو لَقَب لاهوتي.في البدء، في سفر التكوين وبعد سبعة أيام، قالت حواء الاولى لآدم أن يفعلَ بِعكس إرادة الله فَجلبت الموت إلى أبنائها وإلى البشرية كُلها. مريم، حواء الجَديدة،تقول بِعكس حواء القَديمة: إفعلُوا ما يأمركُم به، داعيةً الشعب أن يسمع كلمة الله ويعمل بها.

دعيت مريم أيضا بامرأة، عند أقدام الصليب. حواء القَديمة عند أقدام شجرة الحياة أخذت وأكلت، أرادت أن تكون الإلهَة بِمعزِل عن الله. حواء الجَديدة عند أقدام الصليب وصلت إلى شجرة الحياة الحَقيقية، قَرأت وعاينت ونظَرت إلى الثَمرة المُعلقة على الشجرة. آدم القَديم إشتهى أن يأكُلَ من ثمارِها أما آدم الجديد وهو يسوع قد تصور منذ البدء وحل في حشا مريم العذراء وأثَمر على الصليب ثَمرة الحياة فَأخذت منه البشرية وأكلت فَحيت. مع حواء القَديمة أكلْنا شجرة الحياة بِقُوتنا الشخصية أما في العهد الجَديد فقد تجسد الاله وصار فعلاً الوسيلة التي تدخلنا في الحياة.

شجرة الحياة هي الافخارِستيا، والامرأة الواقفة عند أقدام الصليب هي أم كُلّ تلميذ والتلميذ الحَبيب هو كلّ شخص منا واقف عند أقدام الصليب وهو يتأمل في سر موت وقيامة يسوع المسيح. من يؤمن يصيح ابن مريم، أي إبن الكنيسة، لأن مريم هي ممثلة شعبِ الله، شعب إسرائيل، الذي قال في العهد القَديم لموسى سنفعل كُلّ ما يأمرنا به الله وأصبحت مريم ممثلة الكنيسة الوفية للعريس الذي يعطي الخَمر، الفَرح والحياة بِكثرة.

الأب بيار نجم ر.م.م.